Journal of Arabic Research
eISSN: 2664-5807, pISSN: 26645815
Publisher: Allama Iqbal Open University, Islamabad
Journal Website: https://ojs.aiou.edu.pk/index.php/jar

Vol.06 Issue: 01 (Jan-June 2023)
Date of Publication: 30-June 2023
HEC Category: Y (July 2022-2023)

https://ojs.aiou.edu.pk/index.php/jar

Article	النسوية في الثقافة العربية(حفر في جينالوجيا المفهوم) **Feminism in Arab Culture (Dig into the Genealogy of the Concept)**
Authors & Affiliations	**Errougui Soukaina** Narrative and Cultural Forms Laboratory, Doctorate in literary, linguistic and cultural studies Sultan Moulay Slimane University, Morocco, Faculty of Arts and Human Sciences, Béni Mellal
Dates	Received: 07-03-2023 Accepted: 10-05-2023 Published: **30-06-2023**
Citation	Professor Al-Ruki Sakina, 2023 النسوية في الثقافة العربية(حفر في جينالوجيا المفهوم) [online] IRI - Islamic Research Index - Allama Iqbal Open University, Islamabad. Available at: <https://jar.aiou.edu.pk/?p=74722> [Accessed 25 December 2023].
Copyright Information	النسوية في الثقافة العربية(حفر في جينالوجيا المفهوم) by Professor Al-Ruki Sakina, is licensed under Attribution-ShareAlike 4.0 ©2023 International
Publisher Information	Department of Arabic, Faculty of Arabic & Islamic Studies, Allama Iqbal Open University, Islamabad

Indexing & Abstracting Agencies

IRI	Australian Islamic Library	HJRS	DRJI

ABSTRACT

Recently, we notice, and remarkably, increasing circles of interest in the topic of women, as we found ourselves dealing with approaches that emerged from the womb of several theories to compose about them, either creatively by including them and centering them in novels, the features of which we find in feminism in a deeper way, or critically, In an attempt to establish a cultural theory that interests you. Hence, many topics presented themselves to the surface, such as: gender, feminist cultural theories, and others. But what is controversial is the intensity with which the trend towards the topic has increased - despite its age - which has led us to conceptual approaches, through which we look at feminism and feminism, which have always been misunderstood and confused. From this basis, we will start from a basic problem: researching and digging into the concept adopted by Arab culture (feminism or femininity). These are the ones that we will approach, dividing them into a set of questions,

Key words: Topic of women ***,F***eminism, establish a cultural, conceptual approaches, misunderstood and confused, Arab culture.

النسوية في الثقافة العربية (حفر في جينالوجيا المفهوم)

تقديم

نلاحظ في الآونة الأخيرة، وبشكل لافت للانتباه، تزايد حلقات الاهتمام بموضوع المرأة، حيث وجدنا أنفسنا بصدد مقاربات، انبثقت من رحم نظريات عدة لتؤلف عنها، إما إبداعا عن طريق تضمينها ومحورتها في الروايات، التي نجد ملامحها في النسوية منها بشكل أعمق، أو نقدا، في محاولة لتأسيس نظرية ثقافية تهتم بها. ومن هنا، طرحت مواضيع كثيرة نفسها على السطح، مثل: النوع الاجتماعي أو الجندر، النظريات الثقافية النسوية، وغيرها. لكن المثير للجدل، هو الحدة التي تزايد بها التوجه نحو الموضوع-رغم قدمه -، الأمر الذي جعلنا بصدد مقاربات مفاهيمية، نطل من خلالها على الأنثوية والنسوية، اللتين لطالما وقع التباس في فهمهما والخلط بينهما. ومن هذا الأساس، سننطلق من إشكالية أساسية، مفادها: البحث والحفر في المفهوم الذي تبنته الثقافة العربية (النسوية أم الأنثوية). وهي تلك التي سنعمل على مقاربتها، مفرعين إياها إلى مجموعة من الأسئلة، نوردها آتيا:

ما المعنى الذي حملته الأنثوية والنسوية في المعجمين العربي والغربي؟ وما أوجه التداخل والتباين بين الأنثوية والنسوية؟ هل تتبنى الثقافة العربية مفهوم الأنثوية أم النسوية؟

نشير عبر هذا التقديم الموجز، أننا سنتوجه من فرضتين اثنتين، الأولى: تبني الثقافة العربية لمفهوم النسوية، والثانية: هي تبني الثقافة العربية لمفهوم الأنثوية، وسنتأكد من صحة الفرضيتين بعد إنهائنا الحفر في جينالوجيا المفهوم.

1 – مفهوم الأنثى في المعجمين العربي والغربي

أتت مادة الهمزة والنون والثاء في معجم لسان العرب لابن منظور المصري (ت 711هـ) بمعان عدة، ويهمنا فيها ما ورد بصيغة المفرد (أنثى): وهي خلاف الذكر من كل شيء"[1]، وتأتي، أيضا، في معجم المعاني الجامع على صيغتين، أَنثَ على وزن فَعَلَ بتشديد العين، وأَنُثَ على وزن فَعُلَ، وللصيغة الأولى دلالات كثيرة، منها:

أنث، يؤنث تأنيثا، فهو مؤنث، والمفعول مؤَنث، أما الصيغة الثانية، فهي (أَنُثَ) ومنها: أنوثة، وأناثة[2].

ويُستأنف الحديث، في نفس الباب، بالوصول إلى المراد، وهو ذلك الذي نبحث عنه، دلالة اسم " أنثى"، الذي يجمع على إناث، وأناثى. وتعني الأنثى خلاف الذكر من كل شيء، ومنه تقول: امرأة أنثى أي كاملة الأنوثة[3]. نستشف مما سبق، أن مادة (أنث) في المعاجم العربية قد وردت بصيغ متعددة، استطعنا عبرها التمييز بين ما يدل على الأنثى بالمعنى البيولوجي، وهي تلك التي وردت مفردة (أنثى)، وترمز إليها كائنا بيولوجيا يختلف عن الذكر، إنها صيغة مميزة الجمع (إناث)، وهو عرض لمعنى: الأول هو الذي نريد الوصول إليه (جماعة الإناث العاقلات)، والثاني بعيد يرتبط بالموات من الكائنات، ومنه فمادة (أنث) التي تحدث عنها ابن منظور والتي نريد التطرق إليها في موضوعنا، تلك التي يقابلها بـ (الذكر)، هي معان حاكاها المعجم الجامع العربي مضيفا بعض التعديلات، التي مُيز فيها بين ما هو صرفي (تأنيث كلمة)، وتغييري تحويلي (التأنيث عن قصد) و (تصيير الذكر أنثى = التخنيث).

بحثنا عن كلمة أنثى في المعاجم الاصطلاحية العامة (كشاف اصطلاحات الفنون والتعريفات) فلم نجد لها أثرا، غياب جعلنا نتساءل في قرارة أنفسنا، ما الدافع لعدم تناول

---

[1] ابن منظور جمال الدين، *لسان العرب*، ص162.

[2] معجم المعاني الجامع، معجم إلكتروني، عربي/ عربي، مادة: أنث https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A3%D9%86%D8%AB//

[3] المرجع السابق، مادة: أنث.

المصطلح؟ علما بأن بعض المعاجم اللغوية (لسان العرب) تطرقت لمادته مخصصة له صفحات من كتبها، أسئلة محيرة حركت التفكير وشككت في الموضوع.

إن الشك الذي اعترانا جعلنا نتابع التقصي، حيث وجدنا أن هناك من يعرف (أنثى) بناء على مرادفه (امرأة)، فيقال، إن جمعها نساء ونسوة (من غير لفظها)، وهي من امرؤ: أنثى الرجل، ومثاله: اشترى لامرأته خاتما ثمينا، ووراء كل رجل عظيم امرأة، وقول الله عز وجل في سورة المسد:" وامرأته حمالة الحطب"[4].

نقر، إذن، بأن المتتبع للأمثلة السابقة الذكر، سيجد أن مصطلح (المرأة) أرضيته، وهذا يضعها أمام الجنس الآخر الذي يتقاسم معها نفس الأدوار (الرجل)، لكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا الباب، لم تبنى التعريف السابق، أنثى الرجل ولم يتبنى أنثى الذكر أو امرأة الرجل، سيكون الجواب، على سبيل التخمين، لأن السياق الذي صيغت فيه هذه العبارة، لربما تحكمت فيه أفكار وورد في سياق ثقافي معين، ونقصد هنا، ذلك الذي لا توضع فيه المرأة في مقابل الرجل، بل تعتبر فقط، أنثى، وعليه، يعد التمييز على الأساس البيولوجي والثقافي هو المحدد في هذا السياق.

لقد انتصرت المعاجم الغربية للمفهوم (أنثى Féminin)، وعرفته بناء على السياق الثقافي الذي توجد فيه هي ككيان واع ومثقف وفاعل في التاريخ، التفاتة ذات إشعاع قوي إذا ما حاولنا أن نقارنها بنظيرتها العربية، ونلمس التوجه الثقافي عبر تمييزها (المعاجم الغربية) بين معنيين: الأول اصطلاحي، والثاني صرفي. ويورد المعجم الفرنسي المشهور (Le Robert) ما يأتي: " تعني الأنثى ما تنفرد به المرأة، والحديث عن جماعة الإناث أو فريق نسائي أو مجموعة من السيدات، وقد استطعن اقتحام ميادين وسياقات متعددة"[5]. ويضيف، إنها " تطلق على الأسماء والصفات المؤنثة"[6]، ومنه، تكون المعاجم الغربية قد انتبهت للأنثوية (Féminin) وعبرت عنها من منطلقات فكرية متنوعة، إننا، وفق هذا التوجه، أمام تعريف

[4] نفسه.

[5] Le Robert, Dictionnaire Français, https://dictionnaire.lerobert.com/definition/feminin.

[6] Ibid

لم يفصل بين " الأنثى " التي جمعها (إناث) و (امرأة) التي جمعها نسوة أو نساء، فكلاهما ينضويان تحت تيار واحد، تصور سيعلن فيما بعد، إما عن تماهيهما، أو عن انفصالهما ليسير كل واحد منهما في اتجاه يثبت وجوده وقوته.

2 – الأنثوية والنسوية: التداخلات والتباينات

أ – الاستدعاء المفاهيمي

لا يقتصر فهم وضبط المصطلحات المراد الاشتغال بها الإلمام بالسياق الذي ظهرت فيه، بل أيضا استدعاء المكانيزمات التي أسفرت عن بروزها في علاقتها بالاجتماعي والثقافي والسياسي، وفي سياق الفصل بين الأنثوية والنسوية، فرضت مجموعة من المفاهيم الأخرى نفسها، مثل: النوع (الجندر Gender) الذي رادفه مثنى أمين بالحركة الأنثوية (Feminism)، وعيا منه بأن الفهم الحقيقي والواعي لـ (النوع = الجندر) يتطلب استحضار الحركات الأنثوية، أملا، بأن القيام بهاته المهمة هي الكفيلة بإدراك الفارق بين " الدعوة إلى تحرير المرأة وإنصافها، والحركات التي تبنت هذه الحركة – سواء في البلاد العربية أو الشرقية – وبين النزعة الأنثوية المتطرفة (Feminism)"[7].

ظهرت بوادر الحركة الأنثوية في ستينات القرن العشرين، متجهة بشكل تطرفي، وغير معلنة على الأهداف الأساسية والحقيقية التي جاءت من أجلها الحركة (...)، فتقلدت بذلك قلة من النساء هذه النزعة التطرفية المنحرفة عن المسار الصحيح، نزعة كانت تهدف، وبالأساس، إلى رد الاعتبار للمرأة وانصافها اجتماعيا وتاريخيا وتحقيق المساواة، وعليه، " فأقصى ما طمحت إليه دعوات وحركات تحرير المرأة (Women's liberation Mouvements) هو إنصافها من الغبن الاجتماعي والتاريخي الذي لحق بها والذي عانت منه أكثر كثيرا مما عانى منه الرجال مع الحفاظ على فطرة التمييز بين الأنوثة والذكورة"[8].

[7] مثنى (أمين)، حلمي محمد (كاميليا)، الجندر – المنشأ – المدلول – الأثر، دار العفاف، الأردن، ط1، 2004، ص9.
[8] المرجع السابق، ص9.

وبغض النظر عن المرجعيات التي استحضرت الأنثوية أرضية لتفسير ظهورها وأهدافها، لابد أن نقف بعد هذه التوطئة البسيطة على الأنثوية وتحليلها لغويا، رغبة في إيجاد مسمى يتطابق معها، وقد أكد الذين حللوا الأنثوية أن "كلمة أو مصطلح (Feminism) لغويا، وحسب ما ورد في القواميس المختلفة مأخوذة من (Female) و (Feminie)، والتي تعني الأنثى والأنثوية، وكلمة (Femina) اللاتينية التي تعني المرأة، عليه، يمكن ترجمتها لغويا بالأنثوية لا النسوية التي هي(Womanism)، ويمكن ملاحظة الفرق بين السابقين بوضوح، حيث أن لكل مصطلح دلالات وإيحاءات مختلفة عن الآخر"[9]. إذن، يتضح جليا أن هناك فرق بين الأنثوية والنسوية، فلكل واحد منهما خلفياته ومرجعياته التي تميزه عن الآخر، لتشكل هذه المعطيات فلسفة ابستمولوجية ومنهجية استفادت منها المثقفات العربيات مقترحات بأنهن يمثلن حركة نسوية لا أنثوية، ويبررن ما تبنينه بأن للثاني جوانب سلبة في العالم الثالث، ارتبطت في مضامينها بالغرب، ولنا في "شريفة زهور"[10] خير دليل، حيث " تقول في مقال لها في مجلة (قراءات سياسية): وبينما لا تصف كثير من النساء الإسلاميات أنفسهن بأنهن يمثلن (أنثوية إسلامية Islamic Feminism) ولا يعرف المصطلح اهتماما، فبالتأكيد يمكن اعتبار الكثير منهن كمثال (النسوية الإسلامية Islamic Womanism) كما يطلق عليهن في العالم الثالث ولاسيما في أفريقيا"[11].

نستشف بأن النساء العربيات قد اخترن مصطلح النسوية لا الأنثوية، ويعود الأمر في ذلك إلى البيئة الاجتماعية والثقافية التي ينتمين إليها، وعيا منهن بأن احتضان الأول (النسوية) فيه إلغاء للحركة الأنثوية التي ارتبطت بالغرب وثقافته وقيمه. إن ما يثير الاهتمام ويثبت فعلا بأن مصطلح الأنثوية هو الجدير بالبحث، هو السياق الذي ظهر فيه والغموض والأيديولوجيات التي حكمته في الثقافة العربية، التي وجدت في مصطلح النسوية ستارا للتحرر من الأنثوية

---

[9] المرجع السابق، ص9

[10] إن مصطلح Womanism التي ترجم هنا (نسوية) في العالم الثالث تفاديا لمصطلح Féminism الذي ترجم (أنثوية) لما للأخير من جوانب سلبية في أذهان النساء في العالم الثالث لارتباطه في الكثير من المضامين بالغرب وقيمه ولا سيما الطبقية والمتعالية (شريفة زهور).

[11] المرجع السابق، ص9.

بمفهومها الواسع، هو انتماء وراءه غاية مضمرة تتطلب بحثا جادا عن أسبابها. ويمكن أن نضيف، بأن عدم اعتراف الأدبيات المعاصرة وكتب بعض اللغات بوجود مصطلح النسوية (Feminism) باعتباره تعبيرا عن سياسة المساواة بين الجنسين لدليل قاطع أن الأنثوية هي الغاية والهدف الأسمى، ولكل الدواعي السابقة، فإننا اخترنا تبنى مصطلح الحركة الأنثوية، لأنه واسع سيخدم هذه الدراسة وسيحقق شقيها النظري والتطبيقي. ونشير، أن تبنينا له لا يعكس توجهنا، بل الغرض، هو الانطلاق منه، خدمة للإشكالية، والفرضيات التي طرحناها في بداية الورقة.

ويقع خلط آخر في الاتجاه الجانبي، وهو ذاك الذي نلاحظه بين النسوية والنسائية والأنثوية، حيث نجد أنها متشابهة في التوظيف، الأمر الذي يستدعي إدراك "تمايز وتوزيع العمل وتكامله في الأسرة والمجتمع، على النحو الذي يحقق مساواة الشقين المتكاملين بين الرجال والنساء، وذلك حفاظا على شوق كل جنس إلى الآخر واحتياجه إليه"[12]، وعلاوة على ما سبق، يمكن أن نرجع عدم التفريق بينها إلى غياب التدقيق اللغوي الذي استعملها في الغالب مرادفة لبعضها البعض، مهمة صعبة تصدى لها الاصطلاحيون الذين ميزوا بينها على أساس الاستعمال، فقيل بأن " مصطلح (النسائي) يطلق على الحركات النسائية الليبرالية، وتطلق الحركة (النسوية) على التي تنحو منحى راديكالي يساري"[13] .

يمكن أن نقرأ انطلاقا من المؤشرات السابقة مجموعة من الخلاصات نسجلها كالآتي:

دراسات النوع تستدعي الإلمام بالحركات الأنثوية لفهم ميكانيزمات ظهورها في علاقتها بالاجتماعي والثقافي.

تبنت الثقافة العربية النسوية لا الأنثوية، إيمانا منها بأن الثاني يعبر عن مضامين ثقافة وقيم الغرب.

---

[12] المرجع السابق، ص9.

[13] نفسه، ص10.

تم التمييز بين الحركة النسوية والنسائية، فالأولى ذات توجه راديكالي يساري، والثانية ليبرالية صرفة.

3 – الأنثوية والنسوية في السياق الغربي

تعتبر الأنثوية والنسوية من المواضيع الصعبة، حيث يستحيل الإحاطة بتفرعاتها النظرية بكل تشعباتها وتلويناتها، ويعود الأمر في ذلك إلى كثرة المواقف وعدم ثباتها، إضافة إلى اتساع حيز الاهتمامات الفلسفية والاجتماعية والثقافية التي تؤسس لها، وكذلك تداخلها مع قضايا وظواهر أخرى. تنوعات جعلتنا نقارب الموضوع انطلاقا من بيئات مختلفة، وقوفا على دلالاته وتأويلاته.

عُرفت البيئة العلمانية بتغليب العقل على النقل، والمقصود هنا بالنقل " الكتاب الإلهي"، الذي تبنته الكنيسة مرجعية لصياغة أفكار مغلوطة تخدم أجنداتها ومصالحها الخاصة، معناه، أن هذه البيئة تجاوزت الموروث الديني المصنوع ورفضته، لأنه " يبدو نتيجة طبيعية للكنيسة وممارساتها، والتي أصرت على تقديم أفكار بشرية معوجة باسم الدين المسيحي"[14]، وقد تم رفض الدين مرجعية بعدما اعتراه الشك وساد الفكر العقلي الذي أضحى يستنطق كل كبيرة وصغيرة، ويخضع الموضوعات والأفكار للتحليل المنطقي قبل تبنيها، أسس قامت عليها العلمانية التي وقفت وجها لوجه أمام المتبنين لمبادئ الدين المسيحي، مجابهة أفكارهم المغلوطة، الذي يعد هو نفسه بريئا منها، ومنه، "حاول الناس شق طريقهم بعيدا عن الله والدين، فحصل ما عرف بالدنيوية أو العلمانية وإقصاء الدين عن الحياة، وفقد الدين مرجعيته وهيمنته وحجيته في تعيين الخير والشر والحق والباطل والفضيلة والرذيلة"[15].

برهنت حالة الشك وتجاوز المنقول إلى المعقول على الوضع المزري الذي عرفه الدين بسبب انتهاكات رجاله، والأفكار المعوجة التي روجوها باسمه، تحريف غير نظرة المجتمع للمرأة، وهي تلك التي استمدت منها تسميتها القوة وذاتها الطموح إلى التغيير، ونلمس علاقة التأثير

---

[14] نفسه، ص15.

[15] مثنى (أمين)، حلمي محمد (كاميليا)، الجندر – المنشأ – المدلول – الأثر، ص15.

والتأثر بادية ظاهرة بين العلمانية بيئة والحركة الأنثوية تيار، وخاصة الثاني التي ظلت تبحث عن إثبات وجودها في ظل التضييق الذي فرضته " النظرة الدينية الدونية والسيئة للمرأة وحقوقها في الديانتين السائدتين في الغرب، النصرانية واليهودية بعدما أصابهما التحريف والتبديل البشري"[16]. بيئة أسهمت في تشبث الكثير من النساء بالحركة الأنثوية سبيلا للخلاص، وهذا من شأنه أن يسفر عن تغيير النظرة الدونية للمرأة، التي كان ينظر لها، فيما مضى، كائنا دونيا لا قيمة له، إقصاء فيه هضم لحقوق الأنثى الإنسان، وضرب لكل معاني الاحترام والتقدير والتشريف التي خص بها الدين (النصرانية واليهودية) الأنثى.

يعني العقل (Raison, Intelligence, Intellect) في اللغة "الحجر والنهي"[17]، وفي الاصطلاح، أكد جميل صليبا في معجمه الفلسفي بأنه يطلق على ثلاثة أوجه، وهي:[18]

الأول: يرجع إلى وقار الإنسان وهيئته ويكون حده أنه هيئة محمودة للإنسان في كلامه واختياره وحركاته وسكناته.

الثاني: يراد به ما يكتسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية فيكون حده، إنه معاني مجتمعه في الذهن تكون مقدمات تستنبط بها الأغراض والمصالح.

الثالث: يراد به صحة الفطرة الأولى في الإنسان، فيكون حده أنه قوة تدرك صفات الأشياء من حسنها وقبحها، وكمالها ونقصانها.

يعد ديكارتRené Descartes (1650م) من الفلاسفة العقلانيين الذين أعادوا النظر في مشكلة الإنسان وجسمه ونفسه، ولنا في بعض الموضوعات التي اهتم بها هذا الفيلسوف من المعطيات الكثير.

---

[16] نفسه، ص15.

[17] صليبا (جميل)، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان ط 1982، ص84.

[18] نفسه، ص84.

تنتسب العقلانية إلى العقل، وهي مولود للعلمانية وحاملة لصبغاتها الجينية، علاقة قرابة قوية من خلال ارتكازها، هي أيضا، على رفض المرجعيات الدينية، وتبني كل ما يمجد العقل الإنساني بإعادة الاعتبار له بعدما طغت الأيديولوجيات الدينية، واكتسحت الساحة ملغية النزعة العقلانية "كمؤسس للنزعة العلمانية، وكان لها الدور في صياغة العالم الغربي المعاصر في كل مجالاته، ولابد أنها قد تركت على واقع المرأة أيضا والحركة النسوية آثار مهمة وجوهرية"[19].

يبدو أن العقلانية كانت هي الباب الذي نفذت منه المجالات المختلفة بحثا عن منفذ لها، هو ذلك الذي سيحررها من العبودية التي عاشتها سابقا باسم الدين، ولعل موضوع المرأة والمناداة بتحريرها وتمتيعها بحقوقها قد نشأ في هذه البيئة التي ضمنت الشروط المناسبة لانتزاع الحقوق المهضومة، وإثبات الوجود بالوعي والفكر اللذين ما انفكا يبحثان عمن ينتصر له العقل، ومنه، أصبحت العلمانية "فلسفة تعتمد عليها الأنثوية"[20].

إذن، استطاعت العلمانية أن تترك بصمة في المرأة، ومن خلالها الحركة النسوية، التي تمردت على الأوضاع الاجتماعية والثقافية المأزومة المفروضة عليها، فقد مكنتها من التحرر وإثبات وجود فلسفتها الأنثوية.

ظهرت الفلسفة المادية بعد عصر النهضة راسمة لنفسها مرتكزاتها الخاصة المتمثلة في رفض الغيب والإيمان بما تدركه الحواس، الأمر الذي أسفر بشكل أو بآخر عن" تعلق الناس بالدنيا والمنافع، فذبل الجانب الروحي والإيماني والعاطفي في الناس وزاد الأمر سوءا في فلسفات ما سميت بما وراء الحداثة (Post modernism)"[21].

تأثرت الأنثوية – وعلى غرار غيرها – بالنزعة المادية، فطالبت بتغيير واقع الأنثى المأساوي المهمش والمبخس القيمة، إن المرأة هنا تتهم الواقع، وبالتحديد الواقع الاجتماعي

---

[19] مثنى (أمين)، حلمي محمد (كاميليا)، الجندر – المنشأ – المدلول – الأثر، ص16.

[20] نفسه، ص 16.

[21] نفسه، ص16.

والثقافي، الذي ضيع حقوقها واستغلها أبشع استغلال، حارما شخصها من شروط الحياة التي يمكن أن تؤمن لها عيشا كريما، وتأسيسا لما سبق، أمسى الهدف الذي يؤرق هذه البيئة هو توفير شروط الحياة للأنثى، في مجتمع " لا يؤمن لقمة عيش إلا بعد إضاعة أنوثتها، وإنهاك طاقاتها، بل وفي كثير من الأحيان استغلالها جنسيا من رب العمل واسترقاقها بشكل آخر، وأدى ذلك إلى انتشار البغاء، ومن ثم تجارة الرقيق الأبيض، وبيع النساء والصبايا في سوق نخاسة الجنس والدعارة"[22]. إن الهدفية التي تطرح نفسها في ذا الإطار، تصير المادية من التيارات المدافعة عن الأنثى، فهي حاولت ضمان حقها في الحياة، متمردة بذلك على ظروفها القاسية وكل ما يضيع أنوثتها ويسلبها كرامتها.

ويمكن أن نطل عبر المنافذ السابقة، على الفردية (المرأة الفرد)، التي استمدت مرجعياتها من الفرد "ومجدته حقيقة منفردة وحيدة بعده مركز جميع الأشياء، ومقياسها، في نطاق المنافسة والتصادم مع الآخرين"[23]، في هذا المنحى، إذن، سنتحدث عن الشخص المميز اجتماعيا لا الفرد، ذلك الواعي الفاعل في مجتمعه، وعليه، فالفرد هنا ليس هو الشخص من المنظور الابن سيني، والفرق بينهما واضح جدا، فصل توصل إليه المحدثون بقولهم: " إن الفردية هي مجموع الصفات التي يتميز بها الفرد عن أفراد نوعه أو مجتمعه، على حين أن الشخصية هي مجموع الصفات التي تجعل الفرد صالحا للحياة في مجتمع روحي معلوم"[24] .

عكست الفردانية/ الشخصانية تأثرها بالبيئتين السابقتين (العلمانية والعقلانية)، فصاغت لذاتها أفكارا جديدة قوامها استنطاق تفكير الإنسان فردا/ شخصا قائما بذاته، مستقلا عن الآخرين، قادرا على إدارة شؤونه بنفسه، هي مبادئ من نوع آخر، "تأصل للنزعة

---

[22] نفسه، ص16.

[23] المرجع السابق، ص17.

[24] صليبا (جميل)، المعجم الفلسفي، ص 140.

الفردية/ الشخصية في الإنسان، وتمحوره حول ذاته، وحتى في مجال القانون والحقوق فإن الصياغة الليبرالية للفكرة الحقوقية في الغرب تنظر إلى الفرد كما لو أنه مستقل عن الجماعة"[25].

ولعل المتأمل في ما سبق، سيجد، أن البيئة الفردانية قد نادت بحرية الأفراد/ الأشخاص، ونددت باستقلاليتهم عن الجماعة، وبه أضحت الفرادنية نموذجا منفردا ينظر للإنسان ذاتا منفصلة عن الجماعة التي ضمنت وجوده معها وضمنها بحجة الحقوق، " أي أنه كان في البداية فردا ثم دخل الجماعة متنازلا عن بعض حقوقه، لتحمي له حقوقه الباقية، فظهرت فكرة الحق في تصوره الفردي"[26]. إن النظر للفرد، هنا، هو أساس الوجود الذي عد فيما بعد " الحقيقة الوجودية، أو مذهب من يفسر الظواهر الاجتماعية والتاريخية بالفاعلية الفردية، أو مذهب يرى أن غاية المجتمع، رعاية مصلحة الفرد، والسماح له بتدبير شؤونه بنفسه"[27].

أما بخصوص علاقة الفردية بالأنثوية، نجد أنها شكلت منطلقا لها عبر " التأكيد على فردية المرأة وتجريدها من السياق الاجتماعي، وعدم ربطها بالأسرة ولا المجتمع ولا الأطفال"[28].

إن الغيرية أمر مدفوع به جانبا، إقصاء يرمي مضمونه لسبر أغوار البنى الاجتماعية التي تمارس فعل التقييد على المرأة، فالذات الأنثوية، هنا، كيان لا يحتاج إلى الجماعة، ويستطيع أن يحقق نفسه بعيدا عن الوظائف الاجتماعية المقولبة التي وضعته تحت السيطرة.

جاءت الفلسفة البرجماتية أو الذرائعية (Pragmatism)، وغيرت بعض الأفكار بتأكيدها الجانب النفعي، وبه فالمعايير المتبناة سابقا في الحكم على الأفكار لم تعد مؤهلة بحكم عدم تحقيقها للمنفعة الفردية، وبناء على ذلك، فالمحددات التي رسمت ملامح اللذة ما قبل

[25] مثنى (أمين)، حلمي محمد (كاميليا)، الجندر – المنشأ – المدلول – الأثر، ص17.
[26] نفسه، ص17.
[27] صليبا (جميل)، المعجم الفلسفي، ص 140.
[28] مثنى (أمين)، حلمي محمد (كاميليا)، الجندر – المنشأ – المدلول – الأثر، ص17.

الحداثة ليست كما بعدها، إنها أضحت "غاية في ذاتها لا تخضع لا للمتعة ولا للأخلاق، ولا لأية حقيقة علمية"[29].

وفي إطار علاقة البيئة النفعية بموضوعنا، الأنثوية، نجد أن صيحات التغيير قد انصبت على الجسد الأنثوي والرغبة في تحريره من القيود الاجتماعية التي تحكم على المرأة انطلاقا من المعيار الخلقي، فللمرأة " الحق في تملك جسدها، وحق المرأة في رفض الإنجاب، وحق المرأة في رفض الرضاع والأمومة"[30]. إذن، لا مناص من القول، إن البيئة النفعية التي خرجت من رحم الفردية قاد نادت فعلا بتحرير المرأة من القيد الاجتماعي القاسي الذي كان لا يؤمن للمرأة حتى لقمة العيش، اعتبار أطفأ الاحترام والتقدير (تقدير المرأة) عبر تجاوز فعل السعي إلى تحرير جسد المرأة، إلى إعطائها حق التصرف فيه، وفي كل ما يخصه بيولوجيا.

انبثقت الفلسفة العبثية من الحركة الوجودية، وشككت في كل الموجودات ونادت بنسبية القوانين والظواهر الثقافية، ويؤكد تشارلز فرانكل على هذا بإيراد موقفه من الثقافة الحديثة التي لا إطلاق فيها، " فليس لنا مبادئ أولية، ولا قيم نهائية، ولا عقائد راسخة لا فكاك منها، ولا إيمان بوجود معنى غائي للحياة"[31].

اشتهرت هذه النزعة في عصر مع بعد الحداثة مع العديد من الفلاسفة، أمثال:

(تشارلز فرانكل، وميشيل فوكو...) اللذين شككا ورفضا ما هو جاهز، ولعل الإنسان هو السؤال الأول الذي تناولته هذه المدرسة، حيث اعتبرته سؤال الأسئلة وجوهر التفكير، لأنه "هو مشكلة نفسه"[32]، وهو كذلك، مضمار الفكر والوجود، وكنهه وجوهره عبر وضع كل الظواهر على طاولة التشريح تحليلا وتفكيكا، وعدم القبول بما هو راسخ ومتجدر، مهمة شكلت أرضية للتطرف والتمرد على الوضعية الراسخة من خلال عملية الهدم والبناء.

---

[29] مثنى (أمين)، حلمي محمد (كاميليا)، الجندر – المنشأ – المدلول – الأثر، ص18.

[30] نفسه، ص18.

[31] نفسه، ص19.

[32] فرانكلين (باومر)، ترجمة أحمد حمدي محمود، الفكر الأوروبي الحديث: الاتصال والتغير في الأفكار، الهيئة المصرية للكتاب، ط 1987، ص 20.

تأثرت الحركة الأنثوية بالنزعة العبثية والتشكيكية وتبنت مفاهيمها بشكل متفاوت، ما نجم عنه ظهور تيارات مختلفة المبادئ:[33]

موت الميتافزيقا (الغيب/ الدين)	Death of metaphysic
موت الرجل	Death of man
موت التاريخ	Death of history

يمكن أن نسجل في ضوء هذه التيارات ظهور تيارات تشكيكية متطرفة، ونستحضر في هذا الباب، التيار الراديكالي الأنثوي، الذي "شكك في كل المصادر المعرفية : (الدين، النظريات الاجتماعية والنفسية، القانون...)، واعتبرها رجولية متحيزة، وشكك، أيضا، في النظم الأخلاقية السائدة والقيم والعادات، واعتبرها متخلفة وبالية وتحتاج إلى تغييرات جذرية، وشكك كذلك في اللغة واعتبرها متحيزة وتحتاج إلى إعادة صياغة ونادوا بـ:

(Reconstruction of languagr) ، وحتى الطبيعة البيولوجية للمرأة أنكرها وشكك فيها، وربطها بالبيئة الثقافية والتنشئة لا بحقيقة طبيعة المرأة وخلقها على نحو معين"[34].

نحت هذه البيئة بالحركة الأنثوية منحى لآخر، اتجاه سجلنا فيه رأي ذويه، الذي اتسم كما زعموا (فرانكل، فوكو) بتطرفه، زيغ كانت ارهاصاته بوضع الدين والعلوم النفسية والاجتماعية هدف تشكيك، الشيء الذي أدى بشكل أو بآخر إلى إقصائها، لأنها متحيزة، ويمكن أن نضيف، بأن جعل النظم الأخلاقية والقيم والعادات محور مساءلة أدى إلى إعادة صياغتها تماشيا مع البيئة البيولوجية للمرأة، التي نُطت وقُولبت مع بيئة ثقافية لا تستجيب لها بقدر ما تعبر وتجسد ثقافة الآخر، وقد بلورت الكتب الحديثة ما جاءت به التيارات السابقة من مبادئ، متبنية بعضها وملغية الآخر، أفكار برهنت على فعل " سيطرة الرجال على جميع

[33] مثنى (أمين)، حلمي محمد (كاميليا)، الجندر – المنشأ – المدلول – الأثر، ص19.
[34] نفسه، ص19.

أنظمة السلطة الرئيسية الهرمية (...)، وتكريس صورتهم باعتبارهم أصحاب العلم والأكثر تأهيلا لتحديد ما يستحق المعرفة قياسا بالنساء"[35].

نستنتج مما سبق، بأن النزعة التشكيكية رفضت وأقصت ما يتعارض مع المرأة ويكرس صورة الرجل، ومن ثمة، فرفع الحيف عن المرأة وتغيير الصورة النمطية السائدة رهن بالشك في السياجات التي طوقتها، وجعلها في مقابل الرجل من صاحبات المعرفة والعلم، وذوات كفاءة عالية، قادرة على التغيير بتصيير نفسها محوره وهدفه.

بني العالم ومنذ الأزمنة الغابرة على الصراع، واعتبر العالم الغربي بفكره وثقافته، ابتداء من " نشأته الأولى زمن اليونان مبني على أساس الصراع وعدم الانسجام وخلق التناقض بين الأشياء، بل وإدراك أوجه التكامل والتشابه"[36]، فلسفةجعلتنا نستحضر أشده جدالا وفرضا لنفسه، هو ذلك الذي جمع بين ثنائية الفلسفة والدين، الخير والشر، الموت والحياة...، أمثلة كثيرة تسوق نفسها في هذا الإطار، ففي صدد الثنائية الأولى، ما أورده الكاتب الفرنسي موريس بوكاي، الذي " ذهب بعيدا، ولأكثر من عملية توفيق بين العلم والدين، فرأى في القرآن الكريم تلميحات علمية في جميع المجالات، لا سيما في علوم الفلك والطبيعة وجسم الإنسان"[37].

وغير بعيد عن الثنائية التي صبغ الانسجام والتكامل ملامحها (العلم/ الدين)، لا نجد في الأخرى مجالا للتعايش والاتساق، بل "لابد من الصراع حتى يكون البقاء لواحد وهو الأصلح والأقوى"[38]، هو ذلك الذي وجدت فيه الحركة الأنثوية في مقابل الذكورية، ملاذا للانقلاب على وضعية أولى كانت تمجد الذكر وتجعله محور صراع مع الأنثى، التي ضيعت حقوقها وهضمت، صراع استطاع أن يقلب الموازين بتأثيث الفضاءات الملاءمة لكسب المرأة معركة هذه الثنائية، سهم اتجه صوب غور العلاقة الزوجية وتفكيكها، ومنه " غابت من هذا التصور فكرة

[35] كارفر (تيريل)، مثنى (أمين نادر)، الأصول الفلسفية لقضايا الرجل والمرأة من منظور معاصر، مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق، ط1، 2019، ص 20.
[36] مثنى (أمين)، حلمي محمد (كاميليا)، الجندر – المنشأ – المدلول – الأثر، ص19.
[37] سعادة (رضا)، مشكلة الصراع بين الفلسفة والدين/ من الغزالي وابن رشد إلى الطوسي والخواجة زاده، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1990، ص 10.
[38] مثنى (أمين)، حلمي محمد (كاميليا)، الجندر – المنشأ – المدلول – الأثر، ص19.

السكن والمودة بين الزوجين التي أوردها القرآن، وفكرة البناء المشترك للأسرة كمؤسسة اجتماعية تتولد الحقوق فيها عن التكاثف والتآزر، وليس انتقاصا من حق الآخر"[39].

وتفسيرا لما تم التطرق إليه، يمكن أن نقر بأن الصراع بين الرجل والمرأة قد هدم المؤسسات وخربها، بحثا عن المشعل الذي لم يكرس إلا الهشاشة وفصل المعالم الاجتماعية، وتفكيك هياكلها بإثبات كل طرف أنه هو من يستحق السيادة وسوق قطار الحياة في المجالات المختلفة، إنها نزعة ستظل فارضة لنفسها مادامت أرضية الفكر لا تقوم على التكافؤ والانسجام والتكامل والاتفاق الذي رسمه الوجود وحدد ميكانيزمات اشتغاله.

ارتبط الجنس في جل الكتب الفلسفية والاجتماعية بالمتعة التي بجلته وأسهمت في تقديمه غاية لها، هي مراجع استنطقت جدور فكرة الجنسانية التي تحمل معنى إباحيا شيدت اليونان بداياته، خاصة مع أفلاطون " الذي دعا في جمهوريته إلى أن النساء ما يجب أن يكون مشاعا للجميع، فليس لواحدة منهن أن تقيم تحت سقف واحد مع رجل بعينه منهم، وليكن للأطفال أيضا مشاعا بحيث لا يعرف الابن ابنه، ولا الابن أباه"[40].

يمكن أن نعترف بأن الرؤية الأفلاطونية مؤسسة، تعترف بحق الأطفال والنساء في جنسانيتهم، هي أعمق وأنضج عند المفكر والفيلسوف وعالم النفس النمساوي سيغموند فرويد Sigmund Freud (1856- 1939م) الذي ربط الجنس بالجسد، ودرسه مركزا على مرحلتين عمريتين، وهما: الطفولة والبلوغ.

اهتم هذا الباحث بالجنس في هاتين المرحلتين ردا على الدارسين الذين ربطوه بالبلوغ، في حين، أن الطفولة هي المرحلة التي تؤصل له، وتمكن من فهم العوامل الخارجية والداخلية التي تتحكم في الغرائز، ويرى بأن ربط الجنس بالمرحلة الأولى عوض الثانية، " خطأ تترتب عليه نتائج جسام، لأنه هو المسؤول عن جهلنا بالشروط الأساسية للحياة الجنسية. أما

[39] نفسه، ص20.
[40] المرجع السابق، ص20.

لو تعمقنا بالمقابل في دراسة الظواهر الجنسية عند الطفل، ولربما فهمنا تطور هذه الغريزة ورأينا كيف تنهل من مصادر شتى"[41].

يظهر مما سلف أن فهم الجسد الإنساني يتم من خلال دراسة تجربة الجنس في مرحلة الطفولة، وتم التأكيد عليها لأنها من المداخل الأساسية التي تمكن من دراسته والحصول على نتائج ملموسة.

3 – الاستدعاء السياقي العربي

عرف الشعر منذ العصر الجاهلي وحتى يومنا هذا بتعدد أغراضه، ولن تستثنى الأنثى/المرأة من موضوعات الشعراء عامة، ووقوفا عند شعراء عصر الجاهلية، نجد أنها كانت الفطرة البليغة التي اتخذوا منها حبرا لنظم قصائدهم، التي بينت عن روح حسن التربية، والأنفة والعزة اللتين تبرهنان عن رغبتها (المرأة) في إنشاء جيل مبدع قادر على إثبات الذات الجماعية والتغني بالقبيلة وأمجادها إما فرحا بانتصاراتها أو ندما وتحسرا على خسارة حرب أو فقدان مجموعة من أبنائها. ويقر علي الهاشمي في معرض حديثه عن المرأة في الشعر الجاهلي، بأن التاريخ لم ينصف ويبين صورة المرأة الحقيقية، ويرجع ذلك إلى سببين رئيسين:

الأول طبيعي: ويدل فيه الشعر دلالة واضحة على عدم مساعدة طبيعة الجزيرة وأحوالها المناخية على بقاء الوثائق التي يمكن أن تكون تاريخية خلافا لما هو معروف عن البلاد المجاورة، أي بلاد الحضارات القديمة: كالعراق ومصر و

الشام وغيرهما. فكم كانت الرياح والأمطار مصدر لشكوى الشعراء في الجاهلية، وكثيرا ما نسمعهم يترجمون في أشعارهم عما كانوا يعانون من صعوبة أو مشقة من معرفة دار الحبيب وتمييزهم لساحات المنازل، ويعزون ضياعها إلى فعل الرياح والأتربة المتصاعدة والأمطار المتساقطة، والبسيط من الآثار لا يقوى على شيء من هذا.[42]

يقول امرؤ القيس يخاطب دار حبيبة له:

---

[41] فرويد سيغموند، *ثلاثة مباحث في نظرية الجنس*، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1981، ص48.

[42] الهاشمي (علي)، المرأة في الشعر الجاهلي، مطبعة المعارف، بغداد ط 1960، ص14.

يا دار ماريـة بالحـائـل فالشهب فالخبتين مـن عـاقـل

صم صداها وعفا رسمهـا واستعجمت عن منطق السائل

فهو يحاول تحديد موقعها لأنها دارسة الرسوم، مطموسة المعالم. وهذا هو نهج شعراء الجاهلية في ذكرهم للديار، كما قال لبيد في معلقته:

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها[43]

الثاني غير طبيعي: ويتجلى هذا في إيمان بعض النقاد "ابن سلام الجمحي (ت. 231هـ)"، بأن من الشعر الجاهلي ما هو مصنوع، ويبرهن ويقدم بالأدلة الواضحة على صحة ما ادعاه بأن " خلف يرى أن من الشعر ما هو مصنوع لا خير فيه فلذلك يرده، ويونس بن حبيب يتهم حماد الراوية بالكذب. وأبو عبيدة يروي أن داود بن متمم بن نويرة قدم البصرة فأتاه هو وابن نوح فسألاه عن شعر أبيه متمم، فلما نفد شعر أبيه جعل يزيد في الأشعار ويضعها..."[44]، وإيراد البعض الآخر أسباب أخرى، نذكر منها: "الثورة على الجاهلية"[45]، التي كانت استجابة لمحبي الإسلام وغيرتهم المرة على دينهم، فصوروا بذلك ما جاء قبله تصويرا لا يتلاءم وينسجم مع مبادئ التوحيد.

يمكن التأكيد، بأن الأسباب التي ذكرت آنفا كانت دواعيا لعدم وجود الأنثى/ المرأة ذاتا مسجلة في تاريخ الشعرية القديمة، هذا رغما عن الأدوار التي أدتها والرسائل التي بلغتها في هذا العصر، حيث لا يمكن أن ننكر بأن مجهوداتها كانت عظيمة بمشاركتها الرجل كافة أثقال الحياة، وعليه، فعدم إنصاف التاريخ للمرأة كيانا له مميزاته وخصوصياته لم يكن متعمدا، بل كان سوى طريقة لجأ إليها المؤرخون مؤمنين بأن" تدوين تاريخ الأمم والشعوب يركز على الشعوب والذوات البارزة في ميادين الحرب والإدارة فقط، أما الجهود التي بذلها الجنس البشري في حقول الحياة المختلفة ومن ضمنها جهود المرأة، فقلما استرعت عناية كافية من المؤرخين"[46].

---

[43] المرجع السابق، ص15.

[44] الجمحي (محمد بن سلام)، طبقات فحول الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2001، ص 16.

[45] الهاشمي (علي)، المرأة في الشعر الجاهلي، ص15.

[46] المرجع السابق، ص6.

نلمس مما ذكر، أن إهمال الدراسات التاريخية للمرأة كان مرده التركيز على البارز عوض العادي الممارس، ونعني بهما تلك الأدوار اليومية التي قامت عليها حياتها منذ الأزل ك "تكوين الأسرة وتنشئة الأجيال الصاعدة وإدارة الأعمال المنزلية"[47].

وردت كلمات (أنثى) و (امرأة) و (نساء) في القرآن الكريم، وحملت كل واحدة منها معان متعددة، هي متنوعة ومتفصلة، حاولنا إيراد أمثلة كل واحدة منها، مع ذكر أوجه الاختلاف والاتفاق بين هاته المفردات المرتبطة بمدلول واحد.

تحمل الكلمة الأولى معنى بيولوجيا محددا لخصوصيات الثانية وتدل عليها في شكلها العام، وتأتي إما بـ " صيغ الإفراد (أنثى) أو التثنية (أنثيين) أو الجمع (إناث)، ويتعلق ما جاء منها في السور المكية بمسألة خلق الكائنات جميعا من ذكر وأنثى بما في ذلك الإنسان، وبمسألة العمل والجزاء، والتسوية بين الذكر والأنثى"[48]، ونسوق لها عدة آيات تضمنتها:

- فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ﴿٣٦ آل عمران﴾
- أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ ﴿١٩٥ آل عمران﴾
- وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ﴿١٢٤ النساء﴾
- اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴿٨ الرعد﴾
- مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ ﴿٩٧ النحل﴾
- وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴿١١ فاطر﴾
- وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ﴿٤٠ غافر﴾
- وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴿٤٧ فصلت﴾

---

[47] نفسه، ص6.

[48] موسوعة ويكيبيديا، المرأة في القرآن الكريم
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%A3%D8%A9_%D9%81%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86

- الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴿١٧٨ البقرة﴾
- وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴿٣٦ آل عمران﴾
- يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴿١١ النساء﴾
- إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا ﴿١١٧ النساء﴾
- وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴿١٧٦ النساء﴾
- قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ ﴿١٤٣ الأنعام﴾
- أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ ﴿١٤٣ الأنعام﴾
- قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ ﴿١٤٤ الأنعام﴾
- أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ ﴿١٤٤ الأنعام﴾
- وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨ النحل﴾
- أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ﴿٤٠ الإسراء﴾
- أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠ الصافات﴾
- يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩ الشورى﴾
- أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ﴿٥٠ الشورى﴾
- وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ﴿١٩ الزخرف﴾
- يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا ﴿١٣ الحجرات﴾

ويبدو معنى " امرأة " وترسم ملامحه عبر ارتباطه بمفهوم آخر وهو "زوجة"، ويكثف كتاب الله الشرح بجعل "الزوجة" دالة على الترابط والانسجام والتكامل، وامرأة على تنافي كل ذلك بغياب أحد الشروط أو بعضها، والشرط يمكن أن يكون إما بيولوجيا، ونسوق هنا حالة امرأة زكرياء التي نعتت بـ "امرأة" لأنها كانت عاقرا، أو دينيا كما شأن امرأة الفرعون وامرأة لوط ونساء أخريات.

يقول تعالى:

- إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي ﴿٣٥ آل عمران﴾
- وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴿٣٠ يوسف﴾
- قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴿٥١ يوسف﴾
- وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ ﴿٩ القصص﴾
- ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ ﴿١٠ التحريم﴾
- وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴿١١ التحريم﴾
- فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ ﴿٢٨٢ البقرة﴾
- وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴿٤٠ آل عمران﴾
- وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ ﴿١٢ النساء﴾
- وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴿١٢٨ النساء﴾
- فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣ الأعراف﴾
- وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ ﴿٧١ هود﴾
- وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ﴿٨١ هود﴾
- وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ﴿٢١ يوسف﴾
- إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠ الحجر﴾
- وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴿٥ مريم﴾
- قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴿٨ مريم﴾
- إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴿٢٣ النمل﴾
- فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧ النمل﴾

ويأتي معنى نساء جمعا لمفرد من غير جنسه، وقصد به جماعة الإناث من البشر، وهن خلاف الرجال.

يقول الله عز وجل:

- إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢ آل عمران﴾
- فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ﴿١١ النساء﴾
- يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴿٣٠ الأحزاب﴾
- يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ ﴿٣٢ الأحزاب﴾
- لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ ﴿١١ الحجرات﴾
- مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ﴿١١ الحجرات﴾
- يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴿٤٩ البقرة﴾
- أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ﴿١٨٧ البقرة﴾
- قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴿٢٢٢ البقرة﴾
- نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴿٢٢٣ البقرة﴾
- لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴿٢٢٦ البقرة﴾
- وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴿٢٣١ البقرة﴾
- وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴿٢٣٢ البقرة﴾
- وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ ﴿٢٣٥ البقرة﴾
- لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ ﴿٢٣٦ البقرة﴾
- زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ﴿١٤ آل عمران﴾
- فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ ﴿٦١ آل عمران﴾
- وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴿١ النساء﴾
- وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴿٣ النساء﴾
- وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴿٤ النساء﴾
- وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴿٧ النساء﴾
- وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ ﴿١٥ النساء﴾

- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ﴿١٩ النساء﴾
- وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴿٢٢ النساء﴾

أعاد الإسلام تنظيم الأدوار الاجتماعية، وأعطى للأنثى/ المرأة قيمة كبيرة، مكنتها، أو بالأحرى، فتحت أمامها مسارب لتحقيق ذاتها في كافة المجالات، ولنا في السيدة خديجة رضي الله عنها خير دليل على اقتحام المرأة ميدان التجارة شأنها في ذلك شأن الرجل، وفي السيدة فاطمة عليها السلام الأنموذج السياسي الصرف[49] الذي يبعد عن المرأة أنها كانت مستعبدة وأن الإسلام ضيع حقوقها، وعليه فالإسلام كان ضامنا لحياة المرأة وحقوقها، وقضى على الجهل والتفكير السوداوي الذي أدى إلى خفت ضوئها ووأدها، يقول تعالى: " وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت "﴿التكوير، الآية٨ ﴾

إن ظهور الذكر المعتقد بأنه يحمل مشعل السيادة، صير من المرأة ضعيفة تعيش في الهامش، الذي سرعان ما أصبح سطرا محددا لأبجديات الحياة الاجتماعية والقوام الذي تقوم عليه الحياة الإنسانية. نقر أن المرأة قد حققت مكتسبات كثيرة في هذا العصر، وبالمقابل، لا ننكر أنها استطاعت فيما مضى أن تربي وتكون وترسم ملامح جيل رفع راية الإسلام، وهو " جيل الفتح الذي حمل بصبر وحزم منقطع النظير، رسالة الإسلام وجمع شمل العرب، وأخذ على عاتقه أعباء هذا الفتح وتأسيس إمبراطورية عظيمة في الشرق قامت على أسس جديدة دفعت بالإنسانية في سبيل التقدم الحضاري خطوات واسعة"[50]، تأسيسا للدور الضليع الذي قامت به المرأة في العصر الجاهلي، والذي يبرهن على كمال هيأته في صدر الإسلام، نقر، أنها قد تعهدت بالواجب، وقامت به ببث مقومات الرجولة والشهامة والشجاعة في أبنائها (...) الذين برهنوا في نهاية المطاف أن المرأة قائدة وسيدة في بيتها وفي منظومة المجتمع الإسلامي، ولنا في زوجات وبنات النبي ﷺ إسوة حسنة.

[49] لغنهاوزن (محمد)، الإسلام في مواجهة التسوية تناظر مفارق في الرؤية والأهداف، جلة الاستغراب، صيف 2019، ص 26.
[50] الهاشمي (علي)، المرأة في الشعر الجاهلي، ص7.

تماشيا مع تم ذكره نؤكد بأن الأنثى/ المرأة في العصرين الجاهلي والإسلامي إن لم تحقق ذاتها فقد استطاعت إنجاب جيل فيه من مقومات الرجولة والإخلاص ما مكنه من رفع راية مجد قبيلته، وبالتالي أمته، هي إنجازات لم تنل منها نساء الأمم والشعوب المتحضرة إلا القليل، وعليه يثبت الإسلام بأنه كان سباقا في "الأخذ بأسباب التمدن"[51]، وذلك عبر اكتساحها مجال الاقتصاد (خديجة رضي الله عنها) والسياسة (فاطمة عليها الصلاة والسلام)، والطب (رفيدة الأسلمية)، والزراعة (أسماء بنت أبي بكر) وغيرهن كثير، مؤشرات تدل أن المرأة كائن فاعل في شتى المجالات، سقنا منها بعض الأمثلة، وعلى العكس مما سبق، اعتبرت النظرية الاجتماعية في شخص الفيلسوف والمفكر العربي ابن خلدون (1332 – 1406 م)[52] المرأة من أسباب تدهور الدولة وانحطاطها لذلك وجب تهميشها والابتعاد عنها، وجدير بالذكر، أن لا يفصل الذكر عن الأنثى، فالمجتمع بالنسبة له كل حي لا يتجزأ، ينمو ويتطور وله عمر يمر منه شأنه في ذلك شأن الفرد الذي يولد، يكتمل، يهرم ليموت.

لا مفر من إهمال القول بأن دراسة ابن خلدون للبنى الاجتماعية كان عبر الدولة ومراحل تطورها، حيث " تمثل جوهر فكره في الدورة العضوية، ومنه يقول في مقدمته: الدولة لها أعمار طبيعية كما للأشخاص، ويرى أنها لا تعدو أعمار ثلاثة أجيال، والجيل هو عمر شخص من العمر الوسط، فيكون أربعين الذي هو انتهاء النمو والنشوء إلى غايته"[53]، ويشترك الإنسان مع باقي الكائنات في كل شيء إلا في الفكر " الذي تميز به عن باقي الحيوانات وشرف بوصفه على المخلوقات"[54]. ولقد بين هذا الفيلسوف أن لكل فرد – وهنا يركز على الذكور – دور ووظيفة يقوم بها سواء في: " الصنائع، الدين، السحر، العلوم، الآداب..."[55]، هي متنوعة في أشكالها ومضامينها لكنها تلغي أدوار النساء فيها، لأنهن لا يتجاوزن بالنسبة للفكر الخلدوني سوى كونهن حائلا مسهما في تدهور حكم الدولة والتطورات التي تحققها، وهذا راجع بشكل أو بآخر إلى الحضارة الفاسدة التي أوصلت أصحابها إلى الإفراط في حب الحياة، هو حب عود أهل الحضر الراحة وحبب لهم الفتن من خمر

---

[51] المرجع السابق، ص8.

[52] " لابد أن ننوه بالعلامة العربي والفيلسوف ابن خلدون، الذي كان الرافد الأساسي لأفكار جميع العلماء الذين جاؤوا بعده واستقوا من أفكاره خصوصا علماء الاجتماع. فابن خلدون ليس فيلسوفا اجتماعيا فحسب، بل هو عالم اجتماعي، وواضع علم الاجتماع على أسس حديثة، كما أنه يعتبر مؤسس علم الاجتماع الذي كان يسميه " علم العمران البشري "، وقد جاء من بعده علماء الاجتماع الغربيين فأكملوا ما بناه، وسموا هذا العلم بعلم الاجتماع، وهنا تجدر الإشارة إلى أن علماء الاجتماع الذين جاؤوا بعده من الغربيين كانوا دائما مقصرين عنه في بعض النظريات الاجتماعية" عصمت محمد حوسو، الجندر: الأبعاد الاجتماعية والثقافية، دار الشروق، ط1، 2009، ص32.

[53] حوسو (عصمت محمد)، الجندر: الأبعاد الاجتماعية والثقافية، دار الشروق، الأردن، ط1، 2009، ص 33.

[54] ابن خلدون (عبد الرحمن محمد)، تحقيق المستشرق الفرنسي كاترميرالمقدمة، مكتبة علي مولا، لبنان، ط 1858، ص 67.

[55] حوسو (عصمت محمد)، الجندر: الأبعاد الاجتماعية والثقافية، ص 33.

ونساء، ومن هنا استلهمت فكرة أن النساء هن من يدهورن الحضارة ويسهمن في سقوط الدولة، ويمكن أن نسترسل الحديث بإيراد ما قاله في هذا الباب، يقول: " يتجه أصحاب الدولة إلى الإسراف في التنعم، ويزهدون في العمل ويركنون إلى الدعة والسكون، ويخلدون إلى الراحة والشراب ويكثرون من النساء ومعاقرة الخمر، فتزول هيبة السلطة من النفوس، وتكثر الفتن، وتظهر المعارضة، ويتقوى الأعداء، (...)، وتبدأ الدولة في السقوط، فتظهر جماعة أخرى من البدو تسعى إلى الملك والريادة وتحل محلهم"[56]، ومنه تكون النساء الموجودات في البلاطات في حضرة الحكام فاسدات يمارسن جبروتهن على النظام الحاكم ما يسهم في سقوط الدولة وانهيارها، هي أفكار تكرس دونية المرأة وضعفها وخضوعها وفقد كرامتها الإنسانية التي لا تباع أو تشترى بثمن.

تبنت الثقافة العربية مصطلح النسوية بخلفيات أنثوية، وقد مر بثلاث مراحل بدءا من منتصف القرن 19م، الأولى تسمى بعصر النهضة التي فيها بدأ الحديث ينمو ويتطور في مختلف المجالات التي عبرها "اختلط العرب بأوروبا وتوسع انفتاحهم على حضارتها وثقافتها"[57]، بحكم تنظيمها القوي الذي استقطب النخب العربية المثقفة إليها لمتابعة دراستهم وتشكيل ملامح هويتهم الاجتماعية والاقتصادية، التي كان التأثير فيها بعيد المدى عظيم الفوائد، مكن "مجموعة من المثقفين العرب من مسلمين ونصارى إلى الأخذ والاستلهام من الحضارة الغربية المتقدة للخروج من حالة التخلف والأمية والفقر الموجود في بلاد العرب"[58]، تجاوزا للركوض الأدبي والاجتماعي عبر تهيئة وتحضير جذاذات التجديد الذي سرعان ما أرج وازدهر وصير جميع مجالات منفتحة ومتطورة، ليعكس كتاب هذه المرحلة "القوة والابتكار"[59].

إن موضوع المرأة كان من الموضوعات التي طرحت نفسها هنا، عبر المناداة بحقوقها وتمكينها وتأهيلها لتحمل المسؤوليات التي سبق واحتكرها الرجال، وتحقيق مشعل التنمية بتمتيعها بحقها في التعليم لأنه هو "سبيلها الوحيد للتحرر والمساواة وتأكيد الذات، وتحيق الاندماج الاجتماعي المطابق والمناسب لمقوماتنا الحضارية وحاجاتنا إلى تنمية ملائمة وشاملة ومستديمة"[60]، أضف إلى هذا "المطالبة

---

[56] المرجع السابق، 33.

[57] مثنى (أمين)، حلمي محمد (كاميليا)، الجندر – المنشأ – المدلول – الأثر، ص42.

[58] جاطوم (نور الدين)، تاريخ عصر النهضة الأوروبية، دار الفكر، ط1، ص 91.

[59] مثنى (أمين)، حلمي محمد (كاميليا)، الجندر – المنشأ – المدلول – الأثر، ص42.

[60] محسن (مصطفى)، قضايا المرأة، وتحديات التعليم والتنمية البشرية، نص مأخوذ من سلسلة المعرفة للجميع، العدد 15، ص 52 وما بعدها.

بحقها في الاختلاط مع الجنس الآخر ، لأن ذلك من مقتضيات التعليم والعمل، ولم تطرح قضايا مناقضة لثوابت الدين ومسلماته"[61]، وهذا فيه ما يدل على مبادئ النسوية التي تفادت الأفكار والمرجعيات غير الإسلامية خوفا من المساس بمرتكزات الدين الإسلامي، الذي يقر بـ " ضرورة التسليم والانقياد الكامل وفق مشيئة الله، ولكن لا يقع على الإنسان في هذا التسليم وأثره أي ظلم بل هو يتكامل من خلاله"[62] ، الأمر الذي انعكس على كتابات المرحلة، فنجد فيها الابتعاد عن "فكرة مساواة الجنسين، بل أحيانا حذرت المرأة من تقليد الرجل ومحاولة أن تضع نفسها في هذا الموضع.

وكان من أبرز رموز هذه الفترة: رفاعة بن رافع الطهطاوي، خير الدين التونس، بطرس البستاني، فرح أنطون..."[63]

إن المرحلة الثانية، تبدأ، من نهاية القرن 19م إثر صدور كتاب " المرأة في الشرق " سنة 1894م الذي غير مجرى الأحداث بإفراز " هزة كبيرة نقلت موضوع المرأة إلى ميدان المواجهة مع المعتقدات الإسلامية"[64]، وهنا يمكن أن نبرهن على النقلة النوعية التي قطعها الموضوع خوفا من المساس بالديني لأنه يعد مقدسا، إلى المواجهة الحتمية التي عادت بمبادئ الأنثوية الغربية العلمانية الليبرالية، ونشير أيضا، إلى كتاب آخر كان له وقعه في نسج خيوط التحول الأنثوي، وهو "المرأة الجديدة" لقاسم أمين الذي صدر سنة 1900م والذي " دعا فيه إلى اقتفاء أثر المرأة الغربية، ونحا نحو العلمانية الليبرالية في طرح قضايا المرأة، والتزم بمناهج البحث الاجتماعي العربي"[65]، وبين الموضوع والمنهج وجدت قضية المرأة ميدانا للبوح عما يختلجها والتعبير عن الإرادة وتحقيق المساواة مع الرجل في الحقوق السياسية والاجتماعية والدينية، أفكار تبوأت المكانة المميزة إثر دفاع المتشبعين بقيم الحرية بها تجسيدا للتكامل وإقرارا بغياب الخضوع، ومنه، تصبح الفضيلة هي :" حرية التعبير وإرضاء الميول والرغبات"[66]، وجعل المطالب القانونية مشعل المساءلة، خلافا للفضيلة في الإسلام المتمثلة في "الفناء في الله والوصول إلى مقام لقائه وكبح الميول غير المشروعة"[67].

---

[61] مثنى (أمين)، حلمي محمد (كاميليا)، الجندر – المنشأ – المدلول – الأثر، ص42.

[62] لغنهاوزن (محمد)، الإسلام في مواجهة التسوية تناظر مفارق في الرؤية والأهداف، ص 25.

[63] مثنى (أمين)، حلمي محمد (كاميليا)، الجندر – المنشأ – المدلول – الأثر، ص42.

[64] نفسه، ص42.

[65] نفسه، ص 42.

[66] غنهاوزن (محمد)، الإسلام في مواجهة التسوية تناظر مفارق في الرؤية والأهداف، ص 25.

[67] نفسه، ص25.

طبعت المرحلة الثانية بتأسيس الاتحادات النسوية، التي نادت بتحرير المرأة وتمتيعها بكافة حقوقها الضامنة لوجودها الاجتماعي والتاريخي، الذي سجلت صفحاته "أدوارا هامة لعبتها المرأة في مواقف شتى بحكم التطور، وكان لهذه الأدوار أثرها السياسي والاجتماعي والإنساني"[68]، قطعت في أوله أشواطا، خرجت فيها في مظاهرات ضد الاحتلال " فكم من نساء أنقذن الأوطان وأخمدن نيران الفتن والثورات التي كان يوقدها الرجال وحدهم، ويقتحم سعيرها تلك البواسل من الجنس اللطيف كجان دارك التي أنقذت وطنها من الاحتلال الأجنبي عندما حاصرت الجيوش الإنجليزية مدينة أورليان في عهد شارل السابع"[69]، ونؤكد، هنا، أيضا، على قدرتها ولوج مختلف المجالات والتعبير عن ميولاتها وموقفها من الثقافة والدين، وجاهدت إلى علمنة القوانين وتكييفها وفق ما يخدم مصلحة المرأة ويضمن حقوقها، " فنزعت المرأة الحجاب في التظاهرات، كما فعلت هدى الشعراوي وغيرها...، وصدر قرار من البرلمان المصري في تحديد سن (السادس عشر) كأدنى سن للزواج، وكانت وراء هذا القانون جهود الاتحادات النسائية التي أصبحت جزءا من القوى المؤثرة على حركة المجتمع وبنائه الفكري"[70].

استطاعت النسوية في هذه المرحلة إثبات حق المرأة في التعبير عن الرأي، ودحض الآراء المعارضة التي تكبحها وتقيدها، وهذا جعل المعارضة الوطنية تقف حاجزا وراءها، لتطرح في الجانب الآخر مسألة التطويع وتحريف النص الديني أو استبعاده خدمة لها، وهنا كانت قضايا المساواة في الإرث، وعلاقات المرأة قبل الزواج، وحرية المرأة في لباسها البؤر المؤججة للنقاش ببروز كتاب كثر، أمثال: قاسم أمين، هدى الشعراوي، ثرية شفيق، أمينة السعيد رئيس مجلة حواء، مصطفى أمين، إحسان عبد القدوس، نزار قباني وآخرون[71].

لقد أكد عبد المجيد زراقط أن العربيات المسلمات أصلن لحركة نسوية، وتحدثن عنها متخذات كتاب " نيوليفر غول" الموسوم بـ " الحداثة الممنوعة" (مؤلف صدر سنة 1992) أرضية لهن، "لكن المطالبة بالحقوق في العالمين العربي والإسلامي تعود إلى أواخر القرن التاسع وأوائل العشرين"[72]، وفي خمسينات هذا الأخير، تزايدت المواقف الأيديولوجية التي ارتكزت على كرسي السلطة العربي، التي

---

[68] شعراوي (هدى)، محاضرة دور المرأة في حركة التطور العالمي، قاعة يورت التذكارية بدار الجامعة الأمريكية بالقاهرة، يوم الثلاثاء 12 نوفمبر 1929، ص3.

[69] نفسه، ص 4.

[70] مثنى (أمين)، حلمي محمد (كاميليا)، الجندر – المنشأ – المدلول – الأثر، ص47.

[71] المرجع السابق، ص48.

[72] غنباوزن (محمد)، الإسلام في مواجهة النسوية تناظر مفارق في الرؤية والأهداف، ص 141.

كان التوغل الاستعماري دافعا مباشرا في تشبع العرب من علوم وثقافة وفن وقوانين الغرب، فكانت الترجمة من النشاطات الفكرية التي أغنت الخزانة العربية بالمنتوجات اليسارية الماركسية المترجمة، وأصل من الأخيرة بحث عن مكامن الخلل المتمثلة في استغلالها اقتصاديا، وبهذا أضحى " الاختلاف النوعي بين الرجل والمرأة، يستخدم في استغلال المرأة في سوق العمل، وفي البيت، حيث يقتصر دورها على الإنجاب والخدمة المنزلية"[73]، هاجسا شكل نزعة في الهروع إلى تنزيل مبادئ كتب غربية عديدة لها دورها في رد الاعتبار للمرأة، ونخص ذكرا " (الجنس الآخر) لسيمون دي بوفوار، (لينين والمرأة)، (الحب والحضارة)، (الاشتراكية والمرأة)، (النشاط الجنسي وصراع الطبقات)، (الثورة الجنسية)، (تحرير المرأة العاملة)"[74].

[73] نفسه، ص140.

[74] مثنى (أمين)، حلمي محمد (كاميليا)، الجندر – المنشأ – المدلول – الأثر، ص48.

خاتمة

نؤكد، في خاتمة بحثنا، بأن الثقافة العربية، في بداياتها، تبنت النسوية لا الأنثوية، وهذا مُبَرر ومُنْطلق تحكمه ابستيمولوجيات متنوعة توزعتها مراجع عديدة، وحتى إن كنا قد انطلقنا من الأنثوية، فإن هذا لا يعني أننا ندعو إلى وجهات تتعارض ومبادئ ديننا الحنيف، بل كان الانطلاق منها لغرض توسيع دائرة البحث، وقد بينا في كذا موضع أن الدين بريء مما افتعلته السلطة والهيمنة التي قوضت المرأة وجعلتها تحت سلطة الثقافة والرمز خدمة لأجندات معينة.

لقد اكتشفنا توظيف المصطلحين معا في بيئة واحدة (الثقافة العربية)، الأمر الذي جعلنا نستدعيهما فهما وتفسيرا واستيعابا للمداخل التي أدت إلى هذا التمايز، الذي سرعان ما استشفينا أن من الأول (النسوية) شق الكثير من الباحثين في المجال مسارهم، وذلك عائد إلى أن الثاني (الأنثوية) يحتكم إلى مرجعية ثقافية أخرى، غير إسلامية، معناه، مرجعية نشأت في سياق ثقافي معين ويحتكم لديانات أخرى، وهذا يؤكد، انطلاقا من الفرضيتين المنطلق منهما، أن العرب تجاوزوا الأنثوية إلى النسوية مرجعين بذلك مبادئ الأولى إلى " نشأتها في سياق حضاري وفكري مخالف لسياق حضارتنا وثقافتنا، وتقوم بطرح أفكارها متناثرة ومع كثير من الغموض المقصود"[75]، وعليه، بينا، بإن الثقافة العربية جسدت حركة نسوية واعية بإلغاء كل الأفكار الغربية التي دأب البعض تكرار الكثير منها إفرازا للتبعية التي حتمتها القوة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية..، وهنا، يغدو التأسيس لحركة نسائية مدافعة من منطلقات أنثوية غربية صرفة ليس إلا اجترارا لحريات مرتكزة على قناعات لا تفضي لقراءة القضايا الاجتماعية قراءة صحيحة وصائبة، وتأسيسا لما سبق، بدأت فكرة تنزيل ما تم العمل عليه، فأصبحت المرأة تفكر وتبحث عما يثبتها ذاتا واعية وفاعلة في المجتمع، قادرة على التغيير ورفض الجاهز، مثل: فكرة التكامل بينها وبين الرجل، الحرية والقدرة على اتخاذ قراراتها، الأمر الذي يطرح، مرة أخرى، التساؤل الأول، المؤكد بأن رفض فكرة التكامل أساسها غربي محض، والإسلام أكد في كل مواضع حديثه عنها بأن المفهوم مشروح على أساس الدور الاجتماعي، ويبقى البحث هنا مفتوحا على السؤال الآتي: هل عادت الدراسات الحديثة حول المرأة والنوع الاجتماعي في تفسيراتها للتكافؤ والوجود الذاتي للمرأة إلى الأنثوية بصبغتها الغربية من جديد؟، خاصة، في ظل التطور الحداثي والعولماتي الذي فرض على الذات الإنسانية الذوبان في قالب التحولات، نفيا لكل المقومات الحضارية والثقافية المميزة لمجتمع عن آخر.

---

[75] المرجع السابق، ص42.

الهوامش

بالعربية

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

ĀlqrĩN Ālkrym Brwāy ةWrš ʿn Nāfʿ.

✓ **المعاجم**

ابن منظور جمال الدين، لسان العرب.

Ābn Mnẓwr Ğmāl Āldyn ،Lsān Ālʿrb.

معجم المعاني الجامع، معجم إلكتروني، عربي/ عربي، مادة: أنث

Mʿğm Ālmʿāny Ālğāmʿ ،Mʿğmį Lktrwny ،ʿrby/ ʿrby ،Mād :ة ĩNṭ

https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A3%D9%86%D8%

صليبا(جميل)، المعجم الفلسفي، دار الكتاب البناني، بيروت، لبنان، ط 1982.

Ṣlybā(Ğmyl) ،Ālmʿğm Ālflsfy ،Dār Ālktāb Ālbnāny،Byrwt، Lbnān ،Ṭ 1982

✓ **الكتب**

ابن خلدون (عبد الرحمن محمد)، تحقيق المستشرق الفرنسي كاترمير، المقدمة، مكتبة علي مولا، لبنان، ط 1858.

ābn ẖldwn (ʿbd ālrḥmn mḥmd) ،tḥqyq ālmstšrq ālfrnsy kātrmyr ،ālmqdm ،ةmktb ةʿly mwlā ،lbnān ،ṭ 1858..

الجمحي (محمد بن سلام)، طبقات فحول الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2001.

ālğmḥy (mḥmd bn slām) ،ṭbqāt fḥwl ālšʿrāʾ ،dār ālktb ālʿlmy ،ةbyrwt lbnān ،ṭ 2001.

الهاشمي (علي)، المرأة في الشعر الجاهلي، مطبعة المعارف، بغداد ط 1960.

ālhāšmy (ʿly) ،ālmr ةfy ālšʿr ālǧāhly ،mṭbʿ ةālmʿārf ،bġdād ṭ 1960.

حوسو (عصمت محمد)، الجندر: الأبعاد الاجتماعية والثقافية، دار الشروق، الأردن، ط1، 2009.

ḥwsw (ʿṣmt mḥmd) ،ālǧndr: ālfbʿād ālāǧtmāʿy ةwālṯqāfy ، dār ālšrwq ،ālfrdn ،ṭ1.2009 ،

جاطوم (نور الدين)، تاريخ عصر النهضة الأوروبية، دار الفكر، ط1.

ǧāṭwm (nwr āldyn) ،tāryḫ ʿṣr ālnhḍ ةālfwrwby ،ةdār ālfkr ، ṭ1.

سعادة (رضا)، مشكلة الصراع بين الفلسفة والدين/ من الغزالي وابن رشد إلى الطوسي والخواجة زاده، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1990.

sʿād ة(rḍā) ،mškl ةālṣrāʿ byn ālflsf ةwāldyn/ mn ālġzāly wābn ršdإ l ىālṭwsy wālḫwāǧ ةzādh ،dār ālfkr āllbnāny ،byrwt ، ṭ1.1990 ،

فرانكلين (باومر)، ترجمة أحمد حمدي محمود، الفكر الأوروبي الحديث: الاتصال والتغيير في الأفكار، الهيئة المصرية للكتاب، ط 1987.

frānklyn (bāwmr) ،trǧmf ةḥmd ḥmdy mḥmwd ،ālfkr ālfwrwby ālḥdyṯ: ālātṣāl wāltġyyr fy ālfkār ،ālhy ةئālmṣry ة llktāb ،ṭ 1987.

فرويد سيغموند، ثلاثة مباحث في نظرية الجنس، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1981.

frwyd sygmwnd ،ṯlāṯ ةmbāḥṯ fy nẓry ةālǧns ،trǧm ةǧwrǧ ṭrābyšy ،dār ālṭly ةllṭbāʿ ةwālnšr ،byrwt ،ṭ1.1981 ،

كارفر (تيريل)، مثنى (أمين نادر)، الأصول الفلسفية لقضايا الرجل والمرأة من منظور معاصر، مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق، ط1، 2019.

kārfr (tyryl) ،mṯnī) ىmyn nādr ،(ālīṣwl ālflsfy ةlqḍāyā ālrğl wālmr ةīmn mnẓwr mʿāṣr ،mrkz drāsāt āltšryʿ āl̩slāmy wālīḫlāq ،ṭ1.2019 ،

مثنى (أمين)، حلمي محمد (كاميليا)، الجندر – المنشأ – المدلول – الأثر، دار العفاف، الأردن، ط1، 2004.

mṯnī) ىmyn ،(ḥlmy mḥmd (kāmylyā) ،ālğndr – ālmnš – أ ālmdlwl – ālīṯr ،dār ālʿfāf ،ālīrdn ،ṭ1.2004 ،

✓ **الموسوعات**

موسوعة ويكيبيديا، المرأة في القرآن الكريم

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%A3%D8%A9_%D9%81%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86

✓ **المجلات**

لغنهاوزن (محمد)، الإسلام في مواجهة التسوية تناظر مفارق في الرؤية والأهداف، مجلة الاستغراب، صيف 2019.

محسن (مصطفى)، قضايا المرأة، وتحديات التعليم والتنمية البشرية، نص مأخوذ من سلسلة المعرفة للجميع، العدد 15.

✓ **المحاضرات**

شعراوي (هدى)، محاضرة دور المرأة في حركة التطور العالمي، قاعة يورت التذكارية بدار الجامعة الأمريكية بالقاهرة، يوم الثلاثاء 12 نوفمبر 1929.

بالأجنبية

Le Robert, Dictionnaire Français,

https://dictionnaire.lerobert.com/definition/feminin